تعظيم العقل وقيمته ووظائفه؛ ومكانته في الإسلام.

Maximizing the mind, its value and functions; and its place in Islam

د.إسماعيل صديق عثمان.• د.إسحق آدم أحمد آدم•

مستخلص

في هذه الورقة، استقصي الباحث مفهوم العقل وقيمته في الإسلام؛ فقد جعل الله عز وجل العقل مناط تشريف وتكريم الإنسان، وجعله سببا لتميزه عن سائر المخلوقات، وتتلخص أهمية الموضوع في أنه كلما زادت مكانة الإنسان العقلية والعلمية؛ كلَّما زاد انتفاعه المعرفي وانكشفت له دلائل أكثر وأدق وأعمق في هذا الكون، فالعقلاء كلما تأملوا في هذا الكون الكبير المنتظم إبداعاً وروعة تجدد عندهم في كل تأمل جديد برهان جديد يشير إلى عظمة الخالق. وقف الباحثان في هذا البحث على مكانة العقل في الإسلام ووظائفه، وأفردا مساحة للحديث عن العقل في الخطاب القرآني، ولتحقيق المرامي التي سعى إليها اتبع المنهج الوصفي التحليلي من خلال اسلوبي الاستنباط والاستقراء، ومن أهم النتائج التي خلص اليها البحث أن الدين قد أحاط العقل بالرعاية والعناية وأمر بالحفاظ عليه، وجعله مناط التكليف لدى الإنسان، كما جعله وسيلة فهم نصوص الوحي وما اشتملت عليه من أحكام مختلفة؛ وأن العقل السليم هو المسؤول عن كيفية تطبيق هذه النصوص، لأنه وسيلة الفهم لكل من النص والواقع الذي يراد إنزال النص فيه. وأن الإنسان إذا ما فقد هذه الملكة العقلية تسقط عنه أهلية التكليف. وأن العقل هو إحدى الضرورات الخمس التي لا تكون الحياة في الأرض مستقرة ولا قائمة بدون حفظها. وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

الكلمات المفتاحية:مفهوم العقل، وظائف العقل،الخطاب القرأني،نصوص الوحي،الملكة العقلية.

• د.إسماعيل صديق عثمان إسماعيل، أستاذ مشارك، تخصص العقيدة ومقارنة الأديان. السودان، جامعة بحري، كلية العلوم الإنسانية. قسم مقارنة الأديان، البريد الإلكتروني: dr.ismailsiddig@gmail.com ، جوال: ٠٠٢٤٩١٢٢٧١٢٤٢٨

• د.إسحق آدم أحمد آدم.أستاذ مشارك، جامعة الضعين، كلية الدعوة والدراسات الإسلامية، تخصص العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة، بريد الكتروني: eshaga805@gmail.com جوال:٠٠٢٤٩٩١٢٦٢٣٨٣٢ و ٠٠٢٤٩١٢١٠٧٥٦٤٠

Abstract

In this research entitled: (Maximizing the Mind, Its Value and Functions; and its Place in Islam), the researcher investigated the concept of reason and its value in Islam; Allah the Almighty has made reason the object of honoring and honoring man The importance of the subject is that the greater the mental and scientific status of man, the greater his cognitive utilization and the more accurate and deeper evidence is revealed to him in this universe, the more rational people contemplate this large, regular universe with creativity and magnificence that renews in each new meditation a new proof that points to the greatness of the Creator The researcher in this research stood on the place of reason in Islam and its functions, and devoted a space to talk about reason in the Qur'anic discourse, and to achieve the goals he sought to follow the descriptive and analytical approach through the methods of deduction and induction, and one of the most important findings of the research is that religion has surrounded the mind with care and care and ordered its preservation. He made it the mandate of man, as well as the means of understanding the texts of revelation and the various provisions contained therein; and that sound reason is responsible for how these texts are applied, because it is the means of understanding both the text and the reality in which the text is to be lowered. If a person loses this mental queen, he loses the capacity to be commissioned,.

Keywords: the concept of the mind, the functions of the mind, the Qur'anic discourse, the texts of revelation, the mental queen.

المقـــدمة:

الإسلام هو دين العقل، ودين البحث والنظر والفكر، وعقيدته تعدُّ أن العقل مع نصوص الوحي أساسان لبناء الجانب الإيماني ولا تعارض بينهما، وقد جعل الله عز وجل العقل مناط تشريف وتكريم الإنسان، وجعله سبباً لتميزه عن سائر المخلوقات المحرومة من هذه الخاصية، كما جعل الله –عز وجل– هذا العقل أيضاً مناط تكليف الإنسان وجعله المُعول الأساسي في فهم أحكام الشريعة، والمرشد لكيفية تنزيلها وتطبيقها في واقع المجتمعات؛ فالعقل منحة من الله يشترك فيها البشر جميعاً؛ والكل متساوٍ فيما منحه الله من حرية التفكير والاختيار، ولذلك كان من خواص الوحي الخاتم توجهه للإنسان لإعمال النظر العقلي، والتفكر في آيات الله – تعالى– المبثوثة في هذا الكون المترامي الأطراف ليصل من خلاله إلى اكتشاف ومعرفة حقيقة الصانع الخالق – سبحانه– المتنزه عن النقائص، وإدراك حقيقة ما وصف به نفسه

من صفات عليّة عظيمة، ويستوي في هذه المعرفة والإدراك الإنسان العبقري الذكي، والساذج الجاهل البسيط. فكلاهما يستطيع الاستفادة من هذه الموجهات العقلية للوحي للوصول إلى معرفة حقيقة الخالق والبرهنة على ذلك، وإن تفاوتت درجات هذه المعرفة بحسب تفاوت الملكة العقلية لدى كل منهما، فالناس جميعاً يجدون من الدلائل ما يتناسب مع مستوى تفكيرهم وثقافتهم، ونجد أن في الرؤية الإسلامية السليمة لامجال للانحراف والاستبداد باسم العقل، ولا باسم الشرع، كما أنه لا مجال لتعطيل العقل باسم الشرع.

من أهم أسباب اختيار موضوع البحث: زعم بعض المتشككين أن الإسلام يلغي العقل ويخضعه للنص ، وكذلك تنامي ظهور من يتبني تأليه العقل والإكتفاء به بعيداً عن النص الديني في مجتمعنا الاسلامي والعربي خاصة بين شباب في ريعان العمر الذين لا يعرفون لهذه الظاهرة أصلاً ولا منهجاً. وقد انساقوا نحو ما يسمى بالعقلانية وحرية الفكر والعقل وامتلات شبكة المعلومات بهذه الأفكار الهدامة، وذادت أعداد الساعين وراء العقلانيين في العصر الحالي بعيدا عن التصورات السليمة للخالق والكون والإنسان والحياة. لذلك وجب حماية العقل من الخوض في المسائل الغيبية، والتسليم فيها لتوجيهات وإرشادات الوحي، لأن العقل في تركيبة بنائه لا يسعه التوصل إلى كسب معرفة عالم الغيب.

تتمثل أهداف البحث في: تناول المفهوم العام للعقل، ودراسة أهميته ووظائفه، وتبيين أنه لا تعارض مع العقل والنص، وتبصير الشباب المسلم ليكون مدركاً لأهمية المحافظة على العقل فكلما زادت مكانة الإنسان العقلية والعلمية كلَّما زاد انتفاعه المعرفي وانكشفت له دلائل أكثر وأدق وأعمق في هذا الكون، فالعقلاء كلما تأملوا في هذا الكون الكبير الواسع المتناسق، تجدد لهم في كل تأمل برهان جديد يشير إلى عظمة الخالق. كما يهدف البحث إلي تبيين أن العقل السليم لابد يكون مسايراً للفطرة لأداء دور الاستخلاف في الأرض. إذ العقل هو مصدر تغذية هذه الفطرة بالمعاني الإيمانية، وهو ما جعل العديد من عقلاء العلماء يدخلون في الإسلام، حيث بهرت عقولهم الحقائق الكونية التي نبهت إليها نصوص الوحي القرآني والنبوي، ووافقتها علومهم. ويهدف البحث للتأكيد على أن العقل منْ أعظم النِعم التي منَّ الله بها على الإنسان، بل وجَعَله مَيزَة ينفَرِد بها الإنسان عنْ سائر خَلْقه، فوَهَبه نِعمَة العقل ليتَدَبر في ملكوت الله.

منهج البحث : سيتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي من خلال اسلوبي الإستقراء والإستنباط للوصول لمراميه.

هيكل البحث:

المبحث الأول : مفهوم العقل وقيمته.

المبحث الثاني : مكانة العقل في الإسلام ووظائفه.

المبحث الثالث: العقل في الخطاب القرآني.

المبحث الأول : مفهوم العقل وقيمته.

أولاً: تعريف العقل لغة

كثر الاختلاف بين العلماء في تعريف العقل، حتى قال الزركشي:(إن فيه ألف قول). ولا ريب أن ذلك الاختلاف قد زاد في هذا الزمان؛ لأن معرفة ماهية العقل لدى علماء النفس والطب العقلي لازالت قائمة، وقد نشأت نظريات وفرضيات كثيرة حوله أضيفت إلى ذلك الخلاف القديم. والعقل مصدر عقل، يعقل، عقلاً، فهو معقول، وأصل معناه المنع والإمساك، ومنه عقل البعير لمنعه من الهرب، ويطلق على الملجأ والحصن، وكذا القلب؛ ومنه قول عمر في ابن عباس (رضي الله عنهما): ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا.[١] والتعقل: بصيرة فى عقل ؛ فالعَقل: ضدّ الحُمْق، والجمع: عُقُول، عَقَل يَعْقِل وعَقَّل فهو عاقل، والجمع : عُقَلاء. وعَقَل الدّواءُ البطنَ يَعْقِله ويَعْقُله: أَمسكه. وعقل الشيءَ: فهِمه. وله قلبٌ عَقُول. وعقل البعيرَ: شدّ وَظيفه إِلى ذراعيه، كعقَّله واعتقله، وسُمِّى العقل عقلاً لأَنه يَعقل صاحبَه عمّا لا يَحْسُن. وهو القوّة المتهيّئة لقبول العلم. ويقال للعلم الَّذى يستفيدهُ الإِنسان بتلك القوّة العقل أَيضاً؛ ولهذا قيل: (العقل عقلان، فمطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إِذا لم يك مطبوع، كما لا تنفع الشمّس وضوءُ العين ممنوع) وإِلى الأَوّل يشير ما روى فى بعض الآثار: ما خلق الله خَلْقًا أَكرم عليه من العقل. وكذا: أَوّلُ ما خلق الله العقلُ. وإِلى الثانى يشير ما رُوى: ما كَسَب أَحد شيئاً أَفضل من عقل يهديه إِلى هُدًى، أَو يردّه عن رَدًى. وهذا العقل هو المعنىّ بقوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)[٢]. وكلّ موضع ذمّ الله الكفار بعدم العقل فإِشارة إِلى الثانى، وكلّ موضع رفع التكليف عن العبد فإِشارة إِلى الأَوّل[٣].

ويتضح من هذه التعريفات الآتي: يطلق "العقل" على الحجر والنهى؛ وهو القوة المهيأة لقبول العلم؛ وهو ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات؛ وهو ضد الحمق؛ وهو ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها؛ وهو ما يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان. ويشير إليه كل خطاب شرعي رفع التكليف عن العبد لعدم أهليته العقلية الإدراكية. ويطلق كذلك على العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة المهيأة لقبول العلم. ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ}[٤]، وكل مواضع ذم الله للكفار إشارة إلى هذا المعنى من العقل نحو قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ}[٥]. كما يطلق

---

(١)– انظر: لسان العرب ٥٤٨/١١ وما بعدها مادة عقل، والقاموس المحيط ١٨/٤ وما بعدها مادة عقل. والحديث رواه الحاكم في مستدركه ٥٣٩/٣/٣. ٥٤٠ كتاب معرفة الصحابة وحكم عليه الذهبي بالانقطاع.

(٢)– سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

(٣)– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب: المحقق: محمد علي النجار:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م , ٤/ ٨٥ .

(٤)– سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٥)– سورة البقرة: الآية ١٧١.

"العقل" على إدراك الأشياء على حقيقتها؛ وعلى التثبت في الأمور؛ وتمييز الحسن منها من القبيح. وعلى الحبس والمنع والإمساك؛ و"العاقل" الذي يحبس نفسه ويمسكها ويردّها عن هواها.

ثانياً: تعريفه العقل اصطلاحاً: العقل في الإصطلاح عرفه الجرجاني بأنه: (جوهر مجرد يدرك حقائق الأشياء والغائبات بالوسائط، ويدرك المحسوسات بالمشاهدة؛ وهو محله الرأس أو القلب على خلاف في ذلك)[١]. وعرفه بعض العلماء بأنه: (العلوم الضرورية التي تقع ابتداء وتعم جميع العقلاء).[٢]

وبناء هذا التعريف: فلا تفاضل يكون بين الناس أو العقلاء من جهة العقل، فلا يقال فلان: ذو عقل، أو فلان: عقول، وهذا أمر لا ينطبق مع واقع الحال. فالعقل أوسع من ذلك، فهو يشمل العلوم الضرورية والعلوم المكتسبة، والتي تحصل بالتعلُّم والتفكُّر. يقول أبو حامد الغزالي وكذلك ابن تيمية : أن العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان[٣]: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم، أما الغريزة المدركة فهي في الإنسان كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، وهي شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف، فلولاها ما كان تكليف ولا أمر ولا نهي، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان. وأما العلوم الضرورية فهي التي تشمل جميع العقلاء؛ كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات، وهذه علوم فطرية، تولد مع الإنسان، ولا يتميز بها فرد عن آخر. والعلوم النظرية فهي التي تحصل بالنظر والاستدلال، ويتفاوت الناس فيها ويتفاضلون. وأما الأعمال التي تكون بموجب العلم فقد جاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك:١٠. أي سمع انتفاع وعقل انتفاع، وإلا فهم يملكون آلات الاستقبال، لكنهم لم ينتفعوا بها في تحصيل الحق والخير. وهذا المعنى الأخير ينبغي التأكيد عليه، لأنه ثمرة العقل وفائدته، فالذين خالفوا الشرع هم بالضرورة قد خالفوا العقل. وعليه، فإن أريد بالعقل العلوم الضرورية فلا تفاوت فيها بين الناس.

وعليه يتضح من خلال ما ذكر أن الذي يسمى عقلا في الإنسان هو ما يحبسه عن الشر فعلا كان أو قولا. ولا يسمى (عقلا) ما يحبس الإنسان عن فعل الخير.

ثالثاً: أهمية العقل وقيمته

قال الله عز وجل في شأن تعظيم وقيمة العقل: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[٤]، وقال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي

(١)– الجرجاني: التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (بدون ط أو ت)، ص٨٧.
(٢)– انظر: كتاب الحدود ص: ٣١، وانظر: الإرشاد للجويني ص: ١٥. ١٦.
(٣) – إحياء علوم الدين ٨٥/١ . ٨٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٧/٩، ٣٠٥، ٣٣٦/١٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٨٩/١، والذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني ص: ٩٣ وما بعدها. والفقيه والمتفقهة للخطيب البغدادي ٢/ ٢٠.
(٤)– سورة البقرة الآية : ١٦٤.

الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)[١]، وقال الله تعالى :(يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ)[٢], وقال مجاهد في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[٣] أي عقل. والعقل هو الذي يهدي إلى الجنة ويحمى عن النار لقوله عز وجل حكاية عن أهل النار:(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[٤] وقال حكيم : لا مال أعوز من العقل. وقيل: العقل أشرف الأحساب، وما عبد الله بمثل العقل. وقال آخر: العقل أحصن معقل. وقال آخر: أشد الفاقة عدم العقل. وقال آخر: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنه كلما كثر غلا. ومن فصول ابن المعتز: العقل غريزة يربيها التجارب، ومنها: حسن الصورة الجمال الظاهر، وحسن العقل الجمال الباطن، ومنها: ليست الصورة الإنسان إنما الإنسان العقل، ومنها: ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل إن لم يصدأها الهوى، ومنها: العقل صفاء النفس والجهل كدرها[٥]. وفي مدح العقل، روى الدارمي عَنْ كَعْبٍ قَالَ: قال رسول الله ﷺ : عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعَقْلِ وَنُورُ الْحِكْمَةِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَأَحْدَثُ الْكُتُبِ بِالرَّحْمَنِ عَهْداً وَقَالَ فِى التَّوْرَاةِ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّى مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً ، تَفْتَحُ فِيهَا أَعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمًّا وَقُلُوباً غُلْفاً)[٦] وروى أيضاً: عَنْ عِيسَى قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِىَّ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خَصْلَتَانِ : الْعَقْلُ وَالنُّسُكُ، فَإِنْ كَانَ نَاسِكاً وَلَمْ يَكُنْ عَاقِلاً قَالَ هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ الْعُقَلاَءُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ ، وَإِنْ كَانَ عَاقِلاً وَلَمْ يَكُنْ نَاسِكاً قَالَ هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ النُّسَّاكُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ. فَقَالَ الشَّعْبِىُّ : وَلَقَدْ رَهِبْتُ أَنْ يَكُونَ يَطْلُبُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا لاَ عَقْلٌ وَلاَ نُسُكٌ[٧]. وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: العقل قرة عين، والجهل رائد حين. وقيل: رغبة العاقل فيما يكفيه، وهم الجاهل فيما لا يعنيه. وقيل: من اتعظ بأبلغ العظات، نظر إلى محلة الأموات، ومصارع الآباء والأمهات، وقلّت فكرته في الشهوات[٨]. وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ , عَنْ عَطَاءٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :(قَسَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَقْلَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ , وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَلا عَقْلَ لَهُ ,حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ , وَحُسْنُ الطَّاعَةِ لَهُ , وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى مَا أَمَرَهُ)[٩].

---

(١) – سورة البقرة الآية : ١٩٧.
(٢) – سورة النورالآية : ٤٤.
(٣) – سورة ق الآية : ٣٧.
(٤)– سورة الملك , الآية :١٠.
(٥)– عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصورالثعالبي(المتوفى: ٤٢٩هـ) : اللطائف والظرائف : دارالمناهل ، بيروت, ص :٤١.
(٦)–عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، التميمي، أبومحمد:سنن الدارمي, كتاب فضائل القرآن , باب فضل من قرأ القرآن , برقم :٣٣٩٠ , وزارة الأوقاف المصرية وجمعية المكنز الإسلامي .www.islamic-council.com .
(٧) – الدارمي : سنن الدارمي – كتاب المقدمة ،باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله, برقم : ٣٧٩.
(٨)– عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصورالثعالبي(المتوفى: ٤٢٩هـ): اللطائف والظرائف دارالمناهل، بيروت : ص: ٤٢ . بدون تاريخ ولا طبعة .
(٩) – نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي ، أبو الفتح الشافعي(المتوفى: ٤٩٠هـ) : أمالي أبي الفتح المقدسي– المجلس:١١١:برنامج جوامع الكلم–موقع الشبكةالإسلامية,الطبعةالأولى: ٢٠٠٤ م– ص: ٢.

المبحث الثاني : مكانة العقل في الإسلام ووظائفه.

يعتبر العقل أحد الكليات الخمس في الدين التي أوجب الشارع الحكيم حفظها، فمن ضيعه فقد ضيع معلوماً من الدين بالضرورة. كما عد الإسلام التفكير مقصد من مقاصد الشريعة، والذي يتفكر في الآيات التي تحتوي عبارات مثل التذكر والعقل والتدبر يظهر له ذلك جلياً.(فإصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد. وبهذا ففهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار وأن ذلك جرى على هذا المقصد فأنبأنا عن استقراء اهتمامه والإفصاح عنه بكلام رسوله)[١].

وقد زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بملكة العقل وضمنها الطاقة التي يستطيع بها كسب المعرفة وإدراك حقائق الأشياء. مع توجيه الشارع وحرصه على تربية العقل وتنمية قدراته ولعل من أهم وظائف العقل: التعرف على الخالق عز وجل وجوداً وصفات، دون تجاوز ذلك بمحاولة التفكر في ذاته سبحانه فذلك مما لا طاقة للإنسان به ويفوق حدود مداركه العقلية والتمييز بين ما هو خير جالب للمنفعة والمصلحة وبين ما هو شر جالب للضرر والمفسدة، وتحسين ما يراه الشرع حسناً وتقبيح ما يراه قبيحاً.إضافة لإكتساب القدرة على الفهم السليم الواعي لأوامر الوحي ونواهيه. يقول تعالى:(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [٢]. وقال تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [٣] والعقل هو مناط التكليف بإجماع المسلمين[٤]، ولذلك (أوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل)[٥]. فالإسلام إذن هو دين العقل، ودين البحث والنظر والفكر، وعقيدته تعدُّ أن العقل مع نصوص الوحي أساسان لبناء الجانب الإيماني ولا تعارض بينهما لأن كل منهما منحة من الله، ومنح الله لا تتعارض. ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يحمل الناس على التصديق والإيمان بالرسالة وما ورد فيها من عقائد مكتفياً بالمعجزات الحسية التي تتعدى النظام الكوني وتخرقه لفعل ذلك، ولكن الإسلام دين الحرية لا الإكراه، ودين الاختيار لا دين القهر والقسر, قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[٦]، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ)[٧]. وقد

(١)– محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون ط أو ت)، ص٥٢.
(٢) – سورة الجاثية: الآيات ٣–٥.
(٣)– سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٤)– العز بن عبد السلام: ملحمة الاعتقاد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هج، ص٢٢
(٥)– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (بدون ط أو ت)، ج١٠، ص٢٦١
(٦)– سورة يونس: الآية ٩٩.
(٧)– سورة الأنعام: الآية ٣٥.

شدد الوحي في الدعوة إلى نبذ التقليد والتبعية في التفكير التي يأسر الإنسان نفسه فيها مخالفاً لروح المنطق والعقل والدين. قال تعالى(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)[١] وقال عز وجل: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [٢]. والشارع الحكيم كما يربي عباده على إعمال عقولهم للتوصل للحقائق الإيمانية فهو يربيهم كذلك على محاربة كل ما هو تقليد وجمود على فكر الآباء والأجداد. إذ الإنسان ما ينبغي له أن يبني عقيدته ويكتسبها من التقليد، فالعقل منحة من الله يشترك فيها الأولون والآخرون؛ فالكل متساوٍ فيما منحه الله من حرية التفكير والاختيار، والفكرة لكي تكون ضاربة الجذور والأعماق يجب أن تكون نابعة عن قناعة عقلية ذاتية، بحيث لا يمكن أن تنسفها قداسة الماضي، ولا تنهار بانهياره، ولا تضعف بضعفه، إذ إن من أولويات المنهج العقلي أن يطلب من الناس الإيمان بالله على أساس هذه القناعة الذاتية من خلال ما يقدمه لهم مع الوحي من أدلة وبراهين على الحق في دعوته معتبراً أن ذلك هو السبيل الصحيح للعقيدة الحقة، رافضاً التقليد في العقيدة، سواء في ذلك عقيدته أوعقيدة الآخرين، لأن التقليد ابتعاد عن الخط السليم للتفكير [٣].

قاعدة لا عقل مع النقل :

لا يقصد أهل السنة بهذه القاعدة؛ لا عقل مع النقل، أن تأخذ النقل بلا عقل وما تقدم آنفاً يدل على أن العقل ضرورةٌ وأساس للتكليف إذ كيف يفهم كلام ربنا وكلام النبي صل الله عليه وسلم بلا عقل؟! فالمقصود هو أن لا تقدم عقلك على النقل لا تجعل عقلك قاضياً على كلام النبي صل الله عليه وسلم ، كذلك قولهم : (لا اجتهاد مع النص) ليس معناه أن تأخذ النص بلا اجتهاد ولا تفكير...، وإنما معناه : لكن لا تجتهد اجتهاداً مضاداً للنص.فمثلاً لو قرأت قوله صل الله عليه وسلم: (الوضوء ثلاثاً، فمن زاد فقد أساء وتعدى وظلم) فالواضح من هذا الحديث: أنه لا يجوز الزيادة على ثلاث مراتٍ في الوضوء، فمن زاد على ثلاثٍ، فقد أساء وتعدى وظلم، فإذا جاء آتٍ وقد قرأ مثلاً حديث علي بن أبي طالب :(أن النبي صل الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً) فقال: على الإنسان أن يتوضأ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً حتى يعلم أنه قد أسبغ الوضوء! هذا اجتهاد مراده في هذا الكلام أن تسبغ الوضوء في النهاية، ولو أدى إلى تكثير

(١)– سورة البقرة: الآية ١٧٠.
(٢)– سورة الزخرف: الآيات ٢٢–٢٤.
(٣)– انظر: محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، طبعة١، ١٩٧٩م، ص٣٠.

مرات الغسل، فحينئذٍ نقول له : لا اجتهاد مع النص بمعنى لا اجتهاد مضاد للنص، وليس المعنى: خذ النص بلا اجتهاد(١).

المبحث الثالث: العقل في الخطاب القرآني.

حديث القرآن الكريم للعقل يتأتى دائماً من خلال دعوة النصوص الإلهية للنظر والتأمل في الطبيعة بسمائها وأرضها، والتأمل في ذات الإنسان و في خلقه، وكذلك التفكر والتأمل في الوحي المنزل باعتباره الحقائق الإلهية الكاملة المعصومة، وهو الكتاب المعجزة الذي لا يعتريه نقص أو خلل أو زلل. ولا يأتيه الباطل من خلفه، ولا من أمامه، والذي يعلو عن كلام المخلوقات مجتمعة بإنسها وجنها، وكذلك باعتباره الموجه لعقل الإنسان حتى يتوصل لحقيقة الألوهية والتوحيد لله تعالى، ومن هذه النصوص أو الدلائل العقلية قوله عز وجل: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(٢). فوجه دلالة هذه الآيات على الوحدانية أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة، وذلك التدبير في تكوينها وتفاعلها وذهابها وعودها ومواقيتها، كل ذلك دليل على أن لها صانعاً حكيماً متصفاً بتمام العلم والقدرة والحكمة. وهي الصفات التي تقتضيها الألوهيَّة(٣).

وهكذا يتميز الخطاب القرآني في الآيات العقلية بأنه ينبه إلى وظائف العقل وخصائصه، وأن هذه الخصائص تتعدد بتعدد مواطن الخطاب الوارد في شأن العقل وتنوع مناسباته، فنجد من آيات القرآن الكريم ما تخاطب العقل الوازع، بينما تجد أخرى تخاطب العقل المدرك، أي الذي يفهم الأمور ويتصورها، وثالثة تخاطب العقل المتأمل والمتدبر لاستخلاص النتائج والأحكام، مما يدل على أن التفكير في آيات الكون فريضة إسلامية للاستفادة من عطاءات الله تعالى فيه من كل وجه يحقق مصالح الإنسان، وهو ما يرمز إلى قيمة العقل في الإسلام.

يقول تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ)(٤). والسياق هنا يصور خطوات الحركة النفسية التي ينشؤها استقبال مشهد السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب تصويراً دقيقاً، وهو في الوقت ذاته تصوير إيحائي يلفت القلوب إلى

(١)– أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف – البدعة وأثرها في محنة المسلمين : مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net .

(٢)– سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٣)– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون ط أو ت)، ج٢، ص٨٨.

(٤)– سورة آل عمران: الآية ١٩٠.

المنهج الصحيح في التفاعل مع الكون، وفي التخاطب الموصول معه بلغته، ويجعل كتاب الكون المفتوح كتاب " معرفة" للإنسان المؤمن الموصول بالله، وبما تبدعه يد الله[١]. وقال تعالى:(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)[٢]. وأيضاً قال تعالى:(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)[٣]. وفي آية أخرى يؤنب المشركين على غفلتهم في النظر في ملكوت السماوات والأرض الذي يدلهم على حقيقة الخالق: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ .وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)[٤]. كما لفت عز وجل نظر العقل إلى كيفية رفع السماوات، قال تعالى(خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)[٥]. وكذلك قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون)[٦]. كما وجه الوحي العقل أن يتدبر ويتأمل في نعمة تسخير الأرض للإنسان، وتهيئتها لتكون صالحة له في معاشه عليها. صارفاً العقل للتدبر في هذه النعم وهذا التسخير، الذي لا يمكن إلا أن يدل على غائية هذا الخلق. والغائية ضد القول بالصدفة، وهي دليل على وجود موجد هيَّأ بحكمته هذه النعم الكونية الظاهرة. قال تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)[٧]. وقد هيأ الله الأرض وأعدها لحياة الإنسان بالماء والهواء والطعام والجبال والجاذبية والأمطار والرياح والسحب والبحار والشمس والدفء والنبات والحيوانات، وجعل الله الأرض تجري في مدار محكم دقيق على بعد من الشمس صالح لحياة الإنسان بسرعة مناسبة وحجم مناسب، وكثافة مناسبة، وميل محكم، وقدر توقيتاً دقيقاً في ليل ونهار، يتعاقبان في غاية النظام والإحكام. كل ذلك يشهد أنه من صنع الحكيم، المريد، العليم، القادر، المهيمن، الرحيم، العظيم[٨]. وأيضا توجيه العقل للتأمل في حقيقة الخالق في آية (الجبال) هذا الخلق العظيم ذو الأحجام الهائلة التي تلعب دوراً رئيسياً في استقرار الأرض أن تميد بأهلها، فكانت بمثابة الأوتاد للأرض. قال تعالى:(وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً

(١)– سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م ، ج١، ص٥٤٥.

(٢)– سورة الروم: الآية ٨.

(٣)– سورة ق: الآية ٦.

(٤)– سورة الغاشية: الآيات ١٧–١٨.

(٥)– سورة لقمان: الآية ١٠.

(٦)– سورة النحل: الآية ١٢.

(٧)– سورة النمل: الآيات: الآيات ٦٠–٦٤.

(٨)– عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، طبعة١، ١٩٨٨م، ج٣، ص٢٢٨.

لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١]، وقال تعالى: (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ)[٢]، ثم أعقب هذه الآية بقوله:(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[٣]. ففي الآية ربط صريح بإعجاز الله في خلق الجبال وكونها آية دالة على عظمة الخالق وقدرته ومن أعمى بصره وبصيرته عن هذه القدرة فهو مضل مبين. وقال تعالى في آية أخرى:(أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَاداً (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً)[٤]. ففي خلق الجبال وكونها دليلا على عظمة الصانع وحكمته: فقد تأكد الباحثين عام ١٩٥٦م، أن تحت كل جبل عرق يعتبر امتدادا له، قد غرس في الطبقة العجينية أو اللزجة التي تحت طبقة الصخور، وقد جعل الله هذا الامتداد تحت كل جبل ماسكاً للقارات أن تطوف أثناء دوران الأرض. فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت الجبال تثبت القارات كما ثبت الوتد الخيمة إذا غرس بين التراب، وأشار الشيخ الزنداني إلى أن تأكد الباحثين لهذا الكشف العلمي قد ذكره الدكتور فاروق الباز المختص في علم الجيولوجيا والفضاء ومدير معهد سميث سوفيان لعلوم الأرض والفضاء[٥].

وكذلك إرشاد الوحي العقل أن يتأمل ويتفكر في عالم النبات والزروع بقسميها المائي والهوائي، يحلل مراحل نموها وتركيبها الكيميائي، وتولد عوامل الحياة والخضرة فيها من عناصر طبيعية جامدة ميتة. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ)[٦]. فالله – عز وجل– هو الوحيد الذي له قدرة إخراج النبتة الخضرة الملأى بالحياة من الأرض الموات التي لا حراك لها، فعالم النباتات عالم عجيب يحار العقل في استيعاب ما فيه من إبداع وإتقان ودقة لا يمكن بحال من الأحوال أن يخضع لما يسمى بالصدفة، حيث إنك قد تجد في نفس البقعة من الأرض مجموعة لا بأس بها من النباتات، تضمها نفس التربة، وتسقى بنفس الماء مطرا كان أو رياً بالآبار، وتتنفس جميعاً من ذات الهواء. وتتلقى نفس حرارة الشمس؛ ولكن تنمو كل بذرة حسب خواص مجموعتها فتختلف كل واحدة منها عن الأخرى في النوع والصنف والشكل، والحجم، واللون، والطعم، والرائحة، والشكل ولون وحجم الأوراق والأزهار وتختلف أيضاً في نوعية جذوعها أو أخشابها قال تعالى: (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً

(١)– سورة النحل: الآية ١٥.

(٢)– سورة لقمان:الآية ١٠.

(٣)– سورة لقمان: الآية ١١.

(٤)– سورة النبأ: الآيات ٦–٧.

(٥) انظر:عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد،سابق، ج٣، ص٢٧٠.

(٦)– سورة الأنعام: الآية ٩٥.

أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)[١]، وقال تعالى منبهاً العقل ليتأمل ويتدبر في أنواع وأصناف النباتات ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٢] وقال تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)[٣]، وأيضاً(خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[٤]. وكذلك قوله تعالى:(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)[٥]. هذه الآيات جميعها الدعوة فيها صريحة للتفكر وإعمال البصيرة في آيات الله البديعة في عالم النبات لإدراك حقيقة الخالق. يقول عبد المجيد الزنداني: (إن التراب والماء والهواء والضوء كلها مواد ميتة لا تنمو ولا تتحرك ولا تتنفس ولا تتزاوج ولا تتغذى، فإذا رأينا أن الخالق يكوّن من هذه المواد الميتة أشجارا تنمو، وتتنفس، وتتحرك، وتتغذى وتتزاوج، فتنتج الثمار والحبوب عرفنا أن الخالق قد جعل من المواد الميتة أشجاراً ونباتات حية، ونعلم أنَّه المحيي سبحانه...) فإذا رأينا التراب وقد أحياه الله فجعله نباتات مختلفة الأشكال والألوان والثمار، لكل شجرة رسم خاص في أوراقها وعروقها وأغصانها وأزهارها وثمارها.. إن ذلك يشهد أنه من صنع المصور سبحانه وتعالى)[٦].

كما يدعو القرآن الإنسان أن يعمل عقله في نعمة الماء الذي جعله المولى سبحانه نعمة للحياة، وجعل انقطاعه انقطاعاً لأسباب الحياة وذلك لإبراز قيمة هذه النعمة ودلالتها على توحيد الخالق سبحانه إذ إن وحدة مصدر الحياة دليلٌ على وحدة الخالق لكل المخلوقات المحتاجة لهذا المصدر حتى تنبعث فيها الحياة. قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا

(١)– سورة النحل: الآية ١٣.

(٢)– سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٣)– سورة النحل: الآيات ١٠–١١.

(٤)– سورة لقمان: الآيات ١٠–١١.

(٥)– سورة ق: الآيات ٧–٨.

(٦)– عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد، ج١، ص٣٢–٣٣.

رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)[١]. يقول تعالى لافتا العقل للنظر في أسباب نشوء وتكوّن مياه الأمطار ومراحل ذلك بحيث لا يبقى مجال للعاقل إلا أن يقر بدقة وإتقان المجري لهذه المراحل وفق سننه الكونية الباهرة: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)[٢].

كما وجه الوحي للعقل أن يتدبر في عالم الحيوان فيتأمل أنواع أفراده قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٣]، فالآيات الأخيرة فيها استفزاز مباشر للعقل أن ينظر في مثل هذه الأشياء، كالنظر في كيفية خلق الإبل العظام* من النطفة الضئيلة التي لا ترى حيواناتها المنوية إلا بالمجهر. وقد ألمحت آيات أخرى من القرآن إلى أن خلق هذه الحيوانات على النحو الذي ييسر للإنسان حركة نقله ونقل أمتعته بالإضافة إلى ضمان حياته بالتغذي من لحومها والاكتساء من جلودها لهو كذلك من الآيات الدالة على قدرة الخالق وحسن تدبيره للكون حيث يربط المخلوقات ببعض ويجعل وجود كل منها سبباً في وجود الآخر، ومثل هذه الآيات دعوة للعقل أن يستنتج هذا الترابط وهذه العلاقة التسخيرية التي تدله على أن هناك يدا قديرة حكيمة وضعت الكون على هذا النحو وربطت الأسباب بمسبباتها. وعلى سبيل التمثيل لهذه الآيات التي ربط المولى سبحانه فيها بين هذه الدعوة للنظر والتفكر في نعمة التسخير للحيوانات وبين الدعوة لتوحيده عز وجل والاعتراف له بالنعمة والشكر قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُحْضَرُونَ)[٤].

وأيضاً خطاب الوحي للإنسان أن يتفكر ويعمل عقله في خلقه كإنسان: وذلك بهدف السعي لكشف أسراره حتى يتبين له عظمة الخالق ووحدانية الصانع وقدرته غير المتناهية في الخلق و

(١)– سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٢)– سورة الروم: الآية ٤٨.

(٣)– سورة النور: الآية ٤٥.

(*)– قد تكون الآية ذكرت الإبل لأنها أضخم ما عرفه العرب ورأوه، ويقاس على الإبل سائر الحيوانات الضخمة.

(٤)– سورة يس: الآيات ٧١–٧٥.

الصنعة، وإثبات عبثية القول بصدفية خلق الإنسان على هذا النحو المتناهي الدقة ، الذي لا يزال العلم الحديث محتارا في كشف كافة أسراره ومجاهله برغم كثرة ما كشفه منها ، قال تعالى: (وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)[١]. وقال تعالى ملفتاً عقل الإنسان إلى وحدة المنشأ وخلقه لكافة البشرية، وهي معجزة لا يمكن إلا أن تدل على أن مصدر البشرية واحد: (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)[٢]، وقال تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُون)[٣]. ويضع الوحي العقل كذلك أمام مراحل تكوّن الإنسان في مختلف مراحل تطوره الجنيني منذ أن كان نطفة مذرة إلى أن صار إنسانا سويا كامل الخلق، قال تعالى: (خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ)[٤]. وأيضاً: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[٥]. فمن أدرك عقله هذه الأطوار ومراحلها وأدرك توحدها لدى كافة البشرية على هذا النحو الترتيبي الدقيق ليس له إلا أن يعترف لله بهذه الخالقية .

يقول عالم الطبيعة والفيلسوف " داريت ستانلي كونجدن" عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية في نهاية مقال له يربط فيه بين هذا الكون وبين الخالق العظيم الحكيم:" ... إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم – نحن العلماء– بتحليل ظواهر الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته. ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود"[٦].

فالوحي –قرآنا كان أو سنة –من خلال تربيته لعقل الإنسان على الحركية– تأملاً، وتفكراً، وتدبراً فيما حوله من كائنات– إنما يريد أن يصل بالإنسان إلى القناعة العقلية بأن حقيقة هذه الظواهر الطبيعية أنها من خلق الله وتدبيره وإتقانه، مع غرس اليقين بعجز ما سوى الله من كائنات ممن ادّعي لها صفة الألوهية، فهي ليست لها القدرة لكونها مخلوقة ومحكومة بسنن سطرها لها الله

(١)– سورة الذاريات: الآيات ٢٠–٢١.

(٢)– سورة الأنعام: الآية ٩٨.

(٣)– سورة الطور: الآية ٣٥.

(٤)– سورة النحل: الآية ٤.

(٥)– سورة المؤمنون: الآيات ١٢–١٤.

(٦)– نقلا عن : عبد الرحمن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٩٨٦م ، ص١٠٩.

وجرى بها قدره ليستنكر الوحي بذلك على من اتخذ أحد هذه الظواهر أو المخلوقات آلهة تعبد من دونه، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)(١).

ويلاحظ في خطاب القرآن الكريم للعقل ثلاثة أطوار يمر بها كل عقل سليم وهي:

أولاً: البحث والروية، والفكر والتأمل وإطالة النظر، وإلى هذه المرحلة يخاطب القرآن الكريم الناس بنحو قوله : (قل انظروا) وقوله :(أولم ينظروا) وقوله: (أو لم يتفكروا).

ثانياً: الخطاب بلفظ العقل كما قال: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله تعالى : (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) أي لا يستطيعون أن يدركوا الحقائق الإ بعد البحث والروية.

ثالثاً: الخطاب باللب كما قال تعالى : (وما يذكر إلا أولوا الألباب) وقوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب).

وقد وردت الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم بعدة صور:

١/ منها ما كان بصورة مباشرة وهي ما جاء في أسلوب صريح باللفظ والمعني، كما هو الحال في الآيات التي تحتوي على مشتقات لفظ (عقل) مثل: يعقلون، تعقلون، نعقل، يعقلها..... إلى آخره، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة.

٢/ أو تلك التي تحوي كلمات مرادفة للفظة (عقل) كالقلب واللب والفؤاد والحلم.. إلخ.. وقد وردت في القرآن الكريم حوالي مائة وثمانين مرة.

٣/ أو التي تشتمل على ألفاظ تشير إلى وظيفة من وظائف العقل: مثل التذكر والتفكر والتفقه والتدبر.... إلى آخره، وقد وردت هذه الألفاظ حوالي ثلاثمائة مرة.

وهذا يعني أن مشتقات لفظ عقل ومترادفاته قد ترددت أكثر من خمسمائة مرة في القرآن الكريم، ولعل ورود هذا العدد الكبير من الألفاظ التي تشير إلى العقل في القرآن الكريم، يؤكد أهمية العقل ودوره في حياة الإنسان، كما يوضح المنزلة السامية للعقل في القرآن الكريم.

علاقة العقل بالنص الشرعي من حيث الحاكمية

دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل في أكثر الأمور أهمية وخطرا، وهي الأمور الخاصة بالتشريع، حيث توجه القرآن الكريم بآياته التشريعية إلى أصحاب العقول ليفكروا فيها ويتدبروها، ثم يعملوا على تطبيقها، ومما يؤكد ذلك ما جاء في سورة البقرة: في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إلى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فإن خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا

(١)– سورة فصلت: الآية ٣٧.

فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[١] وعندما يكون النص ثابتاً في نسبته إلى الشرع فإنه يجب أن يكون الحكم له على العقل وعلى كل شيء سواه؛ وهذا ثابت عقلا وشرعا, فأما شرعا فإن نصوصا قطعية في ثبوتها ودلالتها قد جاءت مقررة بقطع وحسم أن الحكم دائما لله عزّ وجلّ؛ والأدلة الشرعية على هذه الحقيقة يضيق عنها هذا المقام, وإنما نُذكر ببعض الآيات الكريمات الجازمة بها, مثل قوله تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)[٢] وقوله: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) النور/٥١, وقوله: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وقوله: (إنِ الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) وغير ذلك كثير.

ومن الناحية العقلية, فإن العقل إذا أدرك وحدانية الله تعالى في الربوبية والألوهية والصفات وصِدْقَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أدرك مع ذلك وجوب التسليم للرب جلّ وعلا فيما يخبر عنه رسوله (صلى الله عليه وسلم) ويأمر وينهى، ويجعل أحكامه فوق كل حكم أو اقتراح؛ وإلا فإن القول بحاكمية العقل في الوقت الذي يُبصر ضرورة الإقرار بالحاكمية للنص الشرعي يوقعه في نوع من التناقض لا يقع فيه إلا نفسٌ أصيبت غريزة العقل فيها بآفة, يبرأ منها كل عقل سليم.

فالنص خطاب الشرع والعقل يترجم للنفس المخاطبة بالتزام الشرع والإلزام الذي هو حقيقة الحاكمية إنما يكون لصاحب الشرع وهو صاحب الخطاب أو النص. والالتزام الذي هو حقيقة المحكومية إنما يكون للمخاطب, وهو النفس البشرية وغريزة العقل ووظيفتها إدراك حقيقة المطلوب المضمّن في خطاب الشرع. صحيح أن للعقل مداخلات في النصوص الشرعية ولكن ليس من حيث الحكم على مضامينها الثابتة ولكن من حيث فهمها وفق محدِّدات معينة, أهمها قواعد اللغة وسائر الأصول المتفق عليها في فهم النصوص وتفسيرها.ولذلك نجد ابن القيم يقرر بعبارات جازمة وحازمة وحاسمة في هذه المسألة أن العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وشرعه – وهذه هي مضامين النصوص الشرعية– حاكم على ما سواه, فيقول: (العلم حاكم على ما سواه, ولا يحكم عليه شيء فكل شيء اختُلف في وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته ومضرته ورجحانه ونقصانه وكماله ونقصه, ومدحه وذمه, ومرتبته في الخير, وجودته ورداءته, وقربه وبعده, وإفضائه إلى مطلوب كذا وعدم إفضائه, فإن العلم حاكم ذلك كله)؛ وسياق كلامه وسابقه يدل على أنه يقصد بالعلم العلم

(١) – البقرة (٢٤٠–٢٤٢)

(٢) – النساء/١٠٥,

بالله تعالى وصفاته وأفعاله وشريعته. ويقول في موضع آخر: (إن العالم حقا يستظهر بكتاب الله على كل ما سواه, فيقدمه ويحكّمه ويجعله إمامه, ويجعله عيارا على غيره مهيمنا عليه, كما جعله الله تعالى كذلك).[١] وأخيراً: فكفى بالعقل منزلة عند الله أنه: مناط التكليف وأن غير العاقل لا ينال شرف التكليف من الله تعالى، ولهذا تجد علماء الإسلام يذكرون في كتبهم أصولا كانت أو فروعا أن من أهم شروط التكليف: العقل، فلا يكلف غير العاقل ؛ وأن العقل هو إحدى الضرورات الخمس التي لا تكون الحياة في الأرض مستقرة ولا قائمة بدون حفظها. وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

الخاتمة

وبعد أن وقفنا على مفهوم العقل ومعناه وقيمته وأهميته ومكانته في الإسلام وخطاب القرآن الكريم له؛ ومن خلال ما قدمنا فقد تبين للباحث من خلال هذه الدراسة أمور جديرة بالذكر في هذا المقام ... أهمها:

- ❖ أحاط الإسلام العقل بالرعاية والعناية، وجعله مناط التكليف لدى الإنسان، كما جعله وسيلة فهم نصوص الوحي وما اشتملت عليه من أحكام مختلفة، والإنسان إذا ما فقد هذه الملكة العقلية يسقط عنه أهلية التكليف.
- ❖ العقل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى أنعم بها على الإنسان، ومن خلاله يتعرّف الإنسان على أسرار خلق الله تعالى وعظيم صنعه، وبه يتوصّل إلى تصديق الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهدايته وسعادته، وذلك أنّ الإنسان لا يستطيع أن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل.
- ❖ العقل هو مصدر تغذية الفطرة السليمة، وهو ما جعل العديد من عقلاء العلماء يدخلون في الإسلام، حيث بهرت عقولهم الحقائق الكونية التي نبهت إليها نصوص الوحي القرآني والنبوي، ووافقتها علومهم.
- ❖ في الرؤية الإسلامية ليس هناك مجالاً للانحراف والاستبداد باسم العقل، ولا باسم الشرع، كما أنه لا مجال لتعطيل العقل باسم الشرع.

---

(١) – بتصرف: العقل وعلاقته بالنص الشرعيّ،إعداد:الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين، مقدم إلى: المؤتمر العلمي الدوليّ التعامل مع النصوص الشرعية الجهة المنظمة: كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية ، تاريخ انعقاد المؤتمر:-٨ ذو القعدة ١٤٢٩هـ-٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨م، مكانه: الأردن/عمان

- ❖ للعقل مكانة سامية في دين الله تعالى، ومنزلة رفيعة، ومع ذلك فإنّ له حدوداً لا يجوز تخطيها أو تجاوزها، لأنه إن فعل خبط خبْط عشواء، فهو في حاجة دائمة للشرع، لأنه تابع له، ومن شأن الشرع أن يعصمه.
- ❖ العقل هو إحدى الضرورات الخمس التي لا تكون الحياة في الأرض مستقرة ولا قائمة بدون حفظها. وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- إبراهيم بن عثمان الفارس : دروس للشيخ إبراهيم الفارس: مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ١٥/ ١.http://www.islamweb.net .
- ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي المشهور بابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ)- تفسير القرآن العظيم – المحقق: أسعد محمد الطيب : مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .
- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني . جامع الرسائل – المحقق : د. محمد رشاد سالم , الناشر : دار العطاء – الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- ابن جرير , محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) . تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- ابن قيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – الرسالة التبوكية =زاد المهاجرإلى ربه- المحقق: د. محمد جميل غازي الناشر: مكتبة المدني- جدة.
- ابن منظور الأنصاري محمد بن مكرم بن على، أبوالفضل، جمال الدين الرويفعى الإفريقى(المتوفى: ٧١١هـ)- لسان العرب : دار صادر – بيروت , الطبعة : الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون ط أو ت).
- عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، طبعة١، ١٩٨٨م
- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون ط أو ت)، ج٢
- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود- المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي . الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- محمد نعيم ياسين، مقدم إلى: المؤتمر العلمي الدوليّ التعامل مع النصوص الشرعية الجهة المنظمة: كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية ، تاريخ انعقاد المؤتمر:-٨ ذو القعدة ١٤٢٩هـ-٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨م، الأردن/عمان

- الإمام مالك : مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) . موطأ الإمام مالك . صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان : ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
- الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)- كتاب التعريفات – المحقق : جماعة من العلماء بإشراف: دارالكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة :١-١٤٠٣هـ .١٩٨٣م.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب: المحقق: محمد علي النجار:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م
- الرازي زين الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي- مختار الصحاح- المحقق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية،الدارالنموذجية، بيروت,صيدا الطبع /٥-١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصورالثعالبي(المتوفى: ٤٢٩هـ) : اللطائف والظرائف : دارالمناهل ، بيروت.
- الراغب الأصفهاني أبوالقاسم الحسين بن محمد :(ت: ٥٠٢هـ) – المفردات في غريب القرآن – المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة الأولى :١٤١٢ هـ.
- عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصورالثعالبي(المتوفى: ٤٢٩هـ):اللطائف والظرائف : دارالمناهل، بيروت.
- العز بن عبد السلام: ملحمة الاعتقاد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هج
- الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب : القاموس المحيط , تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٦ هـ , ٢٠٠٥ م.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب : المحقق: محمد علي النجار:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة: ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م .
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط – إشراف : (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دارالدعوة .
- عبد الرحمن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٩٨٦م
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي _ صحيح البخاري – الجامع الصحيح المختصر- تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق – الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المسند الصحيح المختصر – بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.